تفسير ابن كثير

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية إلاهيته فقال تعالى : { قل من يرزقكم من السماء والأرض } أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقا بقدرته ومشيئته فيخرج منها { حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا } أإله مع ا ؟ فسيقولون ا { أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ؟ } وقوله : { أمن يملك السمع والأبصار } أي الذي وهبكم هذه القوة السامعة والقوة الباصرة ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها كقوله تعالى : { قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار } الاية وقال : { قل أرأيتم إن أخذ ا سمعكم وأبصاركم } الاية وقوله : { ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي } أي بقدرته العظيمة ومنته العميمة وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك وأن الاية عامة لذلك كله وقوله : { ومن يدبر الأمر } أي من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون { يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن } فالملك كله العلوي والسفلي وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه عبيد له خاضعون لديه { فسيقولون ا } أي وهم يعلمون ذلك ويعترفون به .

{ فقل أفلا تتقون } أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم وقوله : { فذلكم ا ربكم الحق } الاية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة { فماذا بعد الحق إلا الضلال } أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له { فأنى تصرفون } أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء وقوله : { كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا } الاية أي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع ا غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسله بتوحيده فلهذا حقت عليهم كلمة ا أنهم أشقياء من ساكني النار كقوله : { قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين }